**نبذة عن نشأة وتطور علم نفس النمو**

تعد التعاليم الدينية والتأملات الفلسفية القديمة أول من وضعت المبادئ والقوانين الأساسية لظاهرة النمو عند الإنسان أو الكائنات الحية الأخرى ، فقد حاول رجال الدين والفلاسفة على مر العصور السابقة دراسة ظاهرة النمو عند الإنسان والمراحل التي مر بها ، وكذلك العوامل التي تؤثر فيها بصورة نظرية أكثر منها تطبيقية ، ومما لاشك فيه إن الإنسان البدائي في العصور القديمة قد تساءل أو فكر في مراحل نموه ابتدءا من مرحلة الجنين ، فكتب التاريخ تذكر إن اخناتون وهو احد فراعنة مصر قد حاول إن يعطي تصوراً عن مراحل تطور الجنين في مرحلة ما قبل الولادة والعوامل المؤثرة .
ويوضح أفلاطون كيفية التكاثر عند الإنسان ، كما قدم مجموعة من المبادئ العامة للنمو عند الأطفال ، وكذلك خصائص كل مرحلة من مراحل النمو ، وتحدث عن أفضل الطرائق لتربية الأطفال ، وكذلك خصائص كل مرحلة من مراحل النمو ، وتحدث عن أفضل الطرائق لتربية الأطفال وتهيؤهم ليصبحوا مواطنين صالحين في المجتمع .
إما أرسطو فقد اهتم بوصف مرحلة المراهقة نظريا وتحدث عن العوامل التي تؤثر فيها ، وقد اتجه ( جون لوك ) وجهة تربوية تطبيقية في تنشئه الأطفال وتربيتهم ، فنادي بان تعمل الأسرة والمدرسة والمجتمع على تكوين العادات الجديدة والمفاهيم الصحيحة التي تتفق مع المعايير التي تحكم ذلك المجتمع وغرسها منذ نعومة أظفاره ، وذلك لأن ” الطفل من وجهة نظره يولد وعقله صفحة بيضاء ”
في حين أكد روسو في كتابه أميل عام 1762م على إعطاء الحرية الكاملة للتعبير عن استعداداته الطبيعية وتنمية مواهبه وقدراته ، فهو يرى إن الطفل مخلوق نبيل وخير بطبيعته ، ولا يفسد أحواله سوى تدخل الكبار ومن ثم يجب إلا يقحم الكبار أرائهم ولا يفرضوا سلوكهم على الطفل .
وجدير بالذكر إن العرب قد قسموا مراحل النمو لدى الأطفال فتبدأ ( بالجنين ثم الوليد والفطيم والدارج أي إذا درج واستطاع إن يمشي والخماسي أي إذا بلغ طوله خمسة أشبار والمثغور إذا سقطت أسنانه اللبنية والمثغر إذا نبتت أسنانه الدائمة والمترعرع الناشئ إذا كان تجاوز عمره (0 1 ) سنوات ، ثم البالغ أو المراهق إذا كان بلغ الحلم .
إما فروبل فقد انتشرت آراءه عن استمرار عملية النمو عند الإنسان و أكد على إن هناك مراحل متعددة يمر بها الإنسان ، وان كل مرحلة تؤثر على التي تليها ، وقد ساس نظام التربية في الحضانة والروضة .
ثم جاءت نظرية دارون في النشوء والارتقاء التي كان لها اثر مباشر في علم نفس النمو وتتبع مراحله ، وتتبع العمليات العقلية ومظاهر السلوك في تطورها من الحيوان إلى الطفل إلى الإنسان الراشد ، وقد أكد دارون على دور البيئة وأثرها في تعديل السلوك ، فبذلك أصبحت دراسة البيئة عاملا أساسيا عندما ندرس النمو .
إما برير ( 1882 ) الذي يعتبره الكثيرون من مؤسسي علم نفس النمو فقد نشر كتابه في المانيا بعنوان ” عقل الطفل ” ، وقد تناول في هذا الكتاب نمو الطفل بشكل عام ونمو الشعور والذكاء والإرادة بصفة خاصة .
وفي العصر الحديث تقدمت وسائل البحث والدراسات التجريبية ، فقد اتجه العلماء نحو دراسة مظاهر النمو المتكاملة في مراحله المتتابعة .، وساهم على علماء التربية بعلمائهم وعلى رأس هؤلاء العلماء جون ديوي ( 1859- 1952 ) الذي أكد على أهمية العمل والنشاط في حياة الطفل وتربيته خلال جميع مراحل نموه .
وقد فدم علماء النفس الجزء الأكبر من المعلومات حول ظاهرة النمو ، ونذكر على سبيل المثال منهم ستانلي هل الذي لمع اسمه كرائد من رواد علم نفس النمو في الولايات المتحدة الأمريكية ، واسهم في إرساء دعائم طرائق البحث في هذا العلم وقدم الكثير من المعلومات عن الأطفال والمراهقين وتعد كتاباته عن المراهقة عام ( 1904 ) عملا له أهمية كبيرة في هذا العلم .
ومن أهم العلماء الذين لمعت أسمائهم في ميدان دراسة علم نفس النمو : ( جان بياجية ، وسيجان وجودادر واريك اريكسون في دراسة النمو العقلي والنمو النفسي الاجتماعي ) ( هيلين تومون في دراسة النمو الجسمي ) ( ارثر جيبرسلد في دراسة النمو الانفعالي ) ( دورث مكارثي في دراسة النمو اللغوي ) ( كولبرك في دراسة النمو الخلقي ) ( ارنولد جيزل في دراسة مراجل النمو )
ومنذ أن وضعت الأسس العلمية لعلم نفس النمو في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين سار هذا العلم المتطور في أربعة اتجاهات رئيسة هي :
1- الاتجاه السلوكي ( البيئي ) الذي أكد السلوك الملاحظ للطفل ودور البيئة والخبرات المكتسبة في تعلم الطفل للسلوك .
2- الاتجاه الوصفي ( المعياري ) الذي أكد على إن النمو يأتي من داخل الطفل ويظهر في تتابع على طول مراحل النمو المتتالية التي يمكن وصفها بالتفصيل .
3- الاتجاه التحليلي ( النفسي ) الذي قدم مفهوماُ جديدا عن الشخصية مبيننا على الحوافز اللاشعورية
4 – الاتجاه المجالي ( نظرية المجال ) الذي ينظر إلى الطفل النامي رفي علاقتها مع القوى الديناميكية لبيئته
وتوالت الدراسات والبحوث الجديدة في علم نفس النمو وزادت في وقتنا الحاضر بدرجة كبيرة حتى إننا نجد الكثير من المجلات العلمية الأجنبية والعربية قد انفردت بنشر هذه البحوث ، وتحوي هذه المجلات العلمية الآلاف من البحوث في علم نفس النمو وفي كافة مظاهره العقلية – الجسمية – الانفعالية – الاجتماعية ، وهكذا ، وفي كافة مراحل النمو .